دزرائيلي ان يخدم سياسات خاصة ، ضمن المجرى العام للسياسة البريطانية الاستعمارية . لكن القاء كل التبعة على الصهيونية ، يخشى ان يؤدي في النهاية الى تبرئة الفصائل الاخرى الضالعة في المجموعة الاستعمارية ، او الى تحويل الانظار عن العملية الاساسية ، عملية الاستغلال والاستثمار والسيطرة .

ان مثل هذا التركيز غير المنهجي او العقلاني ، على الصهيونية دون غيرها ، كفيل بقلب الحقائق الموضوعية لقضية مثل قضية فلسطين . وليس غريبا اذا كان كافرو — ديمارس قد وصل ، بمثل هذا التركيز ، الى القول ان الانتداب الفرنسي والانجليزي قد فرضا في الشرق ، لشل الدول العربية عن الحركة ، عندما يبدأ الشروع في انشاء اسرائيل . في حين ان العلم ، في بديهياته ، يؤكد ان مساهمة القوى الغربية في انشاء اسرائيل كان هدفها الاخير تمكين الاستعمار من البقاء اطول مدة ممكنة في المنطقة .

ان الخطأ المنهجي في كتابي كافرو — ديمارس ، هو انه نبش التاريخ ليستخلص منه الدلائل التي تؤكد نظرية جاهزة في رأسه . فالاحداث المهمةفي التاريخ، كلها ترتبت داخل المحافل الماسونية وضمن دوائر اليهود الاشكنازيم . ونابليون الثالث وغاريبالدي وماك ماهون وكليمنصو ماسونيون . والثالث (ماك ماهون) ماسوني كبير اطلق اسمه في باريس على شارع متفرع من ساحة النجمة (نجمة داود) . والعثمانيون يهود مهتدون . ومع صهيونيتهم ، فقد تآمرت الماسونية عليهم لتفكيك امبراطوريتهم من اجل الاستيلاء على فلسطين . واخراج ديغول من الحكم في العام ١٩٤٦ تم بمؤامرة صهيونية كانت ضرورية للحصول على موافقة فرنسا على انشاء اسرائيل ، في العام ١٩٤٨ .

ولا ينسب كافرو — ديمارس الى الصهيونية هذا فقط ، بل يصل الى حد القول ان الثورة الفرنسية هي من صنعها ، وان حقوق الانسان ابان الحكم الملكي في القرن الثامن عشر كانت مصانة اكثر مما هي مصانة الان . ومثل هذا الكلام مقبول اذا قيل لفش الخلق . لكنه كلام مشكوك اولا في فعاليته الاعلامية في العالم ، ومشكوك ثانية في صحته العلمية . فالثورة الفرنسية ليست « مؤامرة » حتى تكون تفاصيلها ومسبباتها غامضة وغير مفهومة ، بل هي ظاهرة طبيعية يمكن ترجمتها الى معادلات لا تخطىء في علم الاجتماع والاقتصاد والسياسة .

تلك بعض نماذج من كتابي كافرو — ديمارس ، اللذين يمكننا حيالهما ان نسترخي في احضان الانتهازية الفكرية ، فنصفق لهما رغم اعتراضاتنا على الكثير من محتوياتهما ، باعتبارهما قادرين (وهما قادران فعلا) على اقناع الكثيرين من الناس بالحق العربي والباطل الاسرائيلي . غير ان النزاهة الفكرية والامانة الايديولوجية تحتم علينا ان نضع الامور في نصابها . وهذا يقتضي عودة اخرى الى بعض البديهيات : ما هو السبب في عداء العرب للصهيونية والسبب في دعم الاستعمار العالمي لاسرائيل ؟ ان الجواب يكمن في اهداف الاستعمار والصهيونية . فالاستعمار يريد استغلال موارد العرب وطاقاتهم لصالحه ، واسرائيل تمكن الاستعمار من ابقاء العرب منقسمين . وهذه البديهيات تعني ان الهدف الاستراتيجي لمعركة التحرر العربية هو القضاء على الاستعمار في المنطقة العربية .

فاذا القى العرب التبعات على كاهل الصهيونية ، فان الاستعمار قادر تحت ظرف من الظروف ، ان يتخلى عن أداته الرئيسية في المنطقة اسرائيل ، ليعود الينا متخفيا بأداة جديدة . وليس من الحكمة في شيء ان يبذل الجهد العربي كله في مواجهة الاداة وان يبرىء الاستعمار من تهمة ... الاستعمار .

فكتور سحاب